



الكلمة الطيبة

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2020-04-06

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألوته وارضى عنا وعنهم يارب العالمين.
إخوتي الأكارم: في لقاء الاثنين الذي منعنا منه اللقاء المباشر، تلك التدابير الوقائية التي يجب علينا جميعاً أن نتمثلها وأن نعمل به.
إخوتي الأكارم في كل مكان نلتقي في هذا المساء نتحدث إن شاء الله عن الكلمة الطيبة.

الكلمة الطيبة تخرج من القلب



الكلمة الطيبة تخرج من القلب

الكلمة الطيبة جاء بها الأنبياء فأخرجوا الناس من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، أخرجوهم من ذل الشرك إلى عز التوحيد، أخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد بالكلمة الطيبة، لقد فعلت الكلمة فعلها في نفوس المخاطبين حين خرجت من القلب فدخلت إلى القلب، فالكلمة الطيبة لا تخرج من الفم وإنما تخرج من القلب، قال الشاعر:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ، أَي لَفِي الْقَلْبِ.
وَأَتَمَّا جُوعَ اللِّسَانِ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا، فَاللسان دليلٌ على ما يجول في داخل الصدر في القلب.



أثر الكلمة الطيبة

أيها الإخوة الأحباب: الكلمة الطيبة تقرّب القلوب، الكلمة الطيبة تشعرنا بسعادةٍ غامرةٍ لاسيما إن رافقتها إبتسامَةٌ لطيفة، هي التي تسرُّ السامع وتؤلّف القلوب، هي التي تحدث أثرًا طيبًا في نفوس الناس، هي التي تثمر عملاً صالحاً في كل وقت بإذن الله، هي التي تفتح أبواب الخير وتغلق أبواب الشر، هي كلمةٌ جميلةٌ رفيعةٌ لا تؤذي مشاعر الناس ولا تخدش النفوس، هي جميلةٌ في لفظها ومعناها، يشتاق إليها السامع، وبطرب لها القلب، نتائجها مفيدة، غايتها بناءة، منفعتها واضحة، الكلمة الطيبة يمكن أن تحول العدو إلى صديق بإذن الله، وتقلب الضغائن التي في القلوب إلى محبةٍ ومودة، فهي تثمر عملاً صالحاً في كل وقتٍ وحين، فهي من هداية الله تعالى ومن فضله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ

(سورة الحج: الآية 24)

(وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) فإله تعالى هداهم في الدنيا إلى الكلمة الطيبة (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) يوم القيامة، فلما (هُدُوا) في الدنيا (إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ)، (هُدُوا) يوم القيامة (إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) جل جلاله.

أيها الإخوة الكرام: سأركز حديثي حول الكلمة الطيبة في ثلاثة عناصر إن شاء الله حتى تضبط الموضوع:
- العنصر الأول: الكلمة الطيبة في القرآن الكريم والسنة الشريفة.
- العنصر الثاني: لماذا أعرض الناس عن الكلمة اليوم؟ وما المخرج لنعيد لها ألقها ولنعيد لها فاعليتها في واقع الحياة؟
- والعنصر الثالث: إن شاء الله نتحدث عن نماذج من الكلمة الطيبة، وكيف يمكن أن تغير كلمة طيبة مجرى حياة.

الكلمة الطيبة في القرآن الكريم

نبدأ بالعنصر الأول: الكلمة الطيبة في القرآن الكريم والسنة الشريفة، القرآن الكريم ينأى بالكلمة الطيبة بعيداً عن أحوال الأرض ليربطها بطهر السماء، نقرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْحًا تَابِتٌ وَقَرُّعُهَا فِي السَّمَاءِ * نُؤْتِي أُمَّهَاتُهَا كُلَّ جِوْنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا □ وَتَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ

(سورة إبراهيم: الآية 24-25-26)

الكلمة الطيبة يشبهها القرآن الكريم بالشجرة الطيبة، ما الجامع بينهما؟



صفات الشجرة الطيبة

الشجرة الطيبة لها صفات:

1. هي ثابتة: شجرة ثابتة لا تزعرها الأعاصير، لا تعصف بها رياح الباطل، لا تقوى عليها معاول الطغيان، فهي شجرة ثابتة في الأرض، هذا أول صفة للشجرة الطيبة وبماتلها الكلمة الطيبة.
2. الأمر الثاني في الشجرة: أنها سامقة متعالية وفرعها في السماء، فهي لا تعبأ بأحوال الأرض وهي لا تلقي بالأل للشرور في الأرض، يعني الكلمة الطيبة لا تحتاج إلى أن تعارك أحوال الأرض فهي سامقة متعالية تطل من فوق وفرعها في السماء.
3. ثم هي ثالثاً: مثمره لا ينقطع ثمرها. (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَوَّرَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْحَاهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) ثلاث صفات : أولاً: ثابتة لا تتزعزع متمكنة في الأرض. ثانياً: متعالية سامقة تطل من عالٍ لا تعبأ بأحوال الأرض. ثالثاً: لها ثمار طيبة. هذه الشجرة الطيبة.

أوجه التشابه بين الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة



الكلمة الطيبة يبقى أثرها

- الآن الكلمة الطيبة تشبه الشجرة الطيبة في هذه الصفات الثلاثة:
- أولاً: الكلمة الطيبة ثابتة، لأن الكلمة الطيبة: قرآن كريم، سنه شريفة، أقوال الصالحين، دعوة إلى الله، دعوة إلى الحق والخير والعدل والحب، فهي ثابتة، أصولها ثابتة لا تتزعزع، ليست باطلاً، الباطل زهوق أما الحق فمتمكن في الأرض له جذور في الأرض يشبه الشجرة الطيبة.
 - الآن الكلمة الطيبة أيضاً متعالية عن أحوال الأرض، فالكلمة الطيبة لا تلقي بالأل للشرور الموجودة، ولا تلقي بالأل للسيء الموجود في الأرض لأنها متعالية، لها علوها ولها مكانتها ورفعتها.
 - الصفة الثالثة: الكلمة الطيبة (تؤتي) ثمارها (أكلها كل حين)، فأنت قد تقول كلمة طيبة فترقى بها عند الله عز وجل إلى أعلى الجنان، وقد تقول كلمة طيبة فيبقى أثرها إلى مئة عام قادمة، كم من إنسان قال لك: أثرت في كلمة فإلهي لي معلم الصف وقد كنت طالباً في الصف الخامس الابتدائي، قال لي كلمة طيبة شجعتني ومن يومها وأنا أحب العلم وأحب الدين من كلمة طيبة قالها لي معلمي، ف (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها).
- إذاً الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة ثابتة متمكنة متعالية سامقة لها ثمار بانعة لا تنتهي، ومثل (كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْحَاهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة



الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة

فلو ذهبنا إلى الكلمة الخبيثة، ونحن لا نتحدث اليوم إلا عن الكلمة الطيبة، لكن حتى تتميز معنى الكلمة الطيبة أكثر وأكثر، الكلمة الخبيثة، كلمة الباطل، كالشجرة الخبيثة، هذه الشجرة الخبيثة ذات الأشواك التي ليس لها أي فائدة يمكن أن تهيج ويمكن أن تتعالى وتتشابك، وقد يخيل إلى بعض الناس لضعف مداركهم، أنها أضخم من الشجرة الطيبة، ألا نرى شجرة خبيثة لا تحمل ولا تثمر وعبرة عن أشواك وأغصان لا قيمة لها لكنها تتشابك وتتعالى، فيظن ضعيف الإدراك أنها طغت على الشجرة الطيبة، لكن في الحقيقة هي إلى زوال لأنها هشة (كشجرة خبيثة اجتمت من فوق الأرض ما لها من قرار) هي على سطح التربة ليست لها جذور متمكنة لأنها باطل والباطل زهوق، وما هي إلا فترة وتأتي رياح عاصفة أو يأتي هواء فيقلعها من فوق التربة ويهوي بها في مكان سحيق ليس له قرار.

إذاً أيها الإخوة الكرام:

* عندنا (كلمة طيبة كشجرة طيبة)

* (وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة)

* (وتصيرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) فهي أمثالٌ مصداقها واقعٌ في الأرض

* (لعلهم يتذكرون) يعني هذه الأمثال موجودة في الواقع

يمكن لأي إنسان أن ينظر اليوم في الكلمة الطيبة ماذا تصنع؟! والكلمة الخبيثة ماذا تصنع؟!

{ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقَى لَهَا بَأَلًا تَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا }

(رواه الإمام أحمد)

فالكلمة الخبيثة ليس لها جذور، ولا تمتد، وأثارها السلبية تزول، لكن الكلمة الطيبة ثابتة متأصلة سامقة عالية ثمارها يانعة وهذا موجود في واقع الحال لو نظر الناس إليه، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(سورة إبراهيم: الآية 25)

أثر الكلمة الطيبة

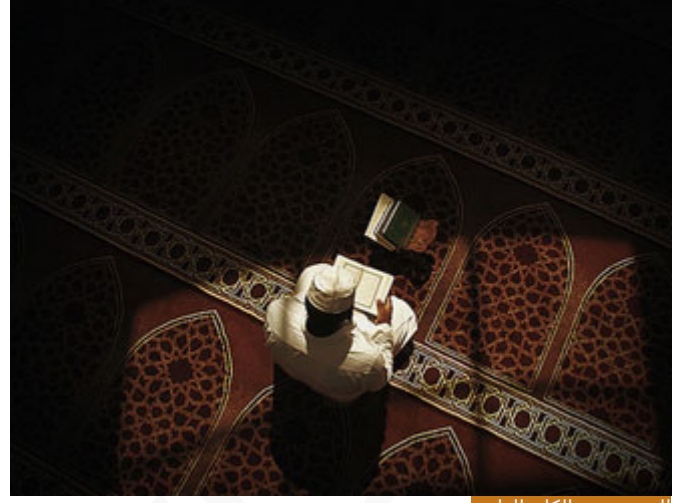
حديث شريف يوضح أيضاً هذه الآية، رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

{ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله: إن العبد إذا قال: سبحان الله، والحمد

لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، قبض عليهن ملك فضمنهن تحت جناحه وصعد بهن، لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا

لفائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن.. ، ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}-[فاطر: 10] }

(إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْنَاكُمْ بِتَضَدِّيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ) كلمات طيبة، تسييح، حمد، توحيد، خير ونماء تبارك الله (قَبِضَ عَلَيْهِمْ مَلَكٌ).



التسييح من الكلم الطيب

هذه الكلمات الطيبة التي انطلقت من فمك وأنت تقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ) تسيحه تنزهه جل جلاله عن كل نقص أو عن كل عيب، ثم تقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) فتشكره من أعماقك على ما أنعم وأولى وأعطى، (وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) توحده، لا معبود بحق إلا الله، ثم تقول: (تَبَارَكَ اللَّهُ) زاد خيره وعم فضله جل جلاله، هذه الكلمات انطلقت من فمك، الآن أين هي؟ أصبحت في الهواء عبر الأثير، فانطلقت، ما الذي يحصل؟ يأتي ملك مُوَكَّل من الله عز وجل.

قال: (قَبِضَ عَلَيْهِمْ مَلَكٌ فَصَمَّهِنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَضَعَهُنَّ لَا يَمُرُّ بِهِنَّ لَأْتَمُّنَّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَعْفَرُوا لِقَائِهِنَّ حَتَّى يَجِيءَ بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ) فتخيل معي أن كلماتك الطيبة التي تطلقها وتظن أنها قد تخامدت في الهواء وانتهت ولم تلتقط، تخيل أن هذه الكلمات الطيبات قد جاء ملكٌ فقبض عليهن وضمهن تحت جناحه ثم صعد بهن إلى الملاك الأعلى، فلا يمر بجمعٍ من الملائكة إلا اسْتَعْفَرُوا لَكَ، فقالوا: اللهم اغفر لعبدك فلان الذي قال هذه الكلمات.

(حَتَّى يَجِيءَ بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ) حتى يصل بهن إلى الله تعالى، ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَوْلَهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

(سورة فاطر: الآية 10)

هذا معنى قول عبد الله بن مسعود: (إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْنَاكُمْ بِتَضَدِّيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ)، ففسر لنا (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) كيف (يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)؟ يأتي ملك ويأخذ كلامك الطيب فيصعد به في السماوات فتستغفر لك الملائكة، ثم يصل به إلى الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: هذه الكلمة الطيبة في القرآن، أكتفي بهاتين الآيتين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ

(سورة إبراهيم: الآية 25)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

(سورة فاطر: الآية 10)

الكلمة الطيبة في الحديث الشريف

أما في الحديث الشريف فيقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يُلْفِي لَهَا تَأَلَّا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُلْفِي لَهَا تَأَلَّا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ }

(رواه البخاري)

الكلمة الطيبة هي الفأل الصالح

فانظر إلى الكلمة الطيبة وانظر إلى الكلمة الخبيثة، الكلمة الطيبة في الأحاديث الشريفة وفي السنة المطهرة هي الفأل الصالح.

{ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَبُعْجِيئِي الْفَأُلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ }

(صحيح البخاري)



لا تقع العدوى إلا بإذن الله

أشكّل على بعض الناس مبدأ الحديث في هذه الظروف التي نعيشها اليوم، كيف يقول صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى)، ينفي العدوى وهي موجودة؟ لا عدوى: أي لا تقع العدوى إلا بإذن الله، والدليل في رواية ثانية صحيحة للحديث:

{ لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ }

(صحيح البخاري)

{ فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ }

(أخرجه البخاري وأحمد)

(لا عَدْوَى) ثم يقول صلى الله عليه وسلم: (وَفِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ).
المجدوم: المريض .
فلماذا نفر منه إذا كان لا عَدْوَى؟! ولماذا يقول صلى الله عليه وسلم: عن البعير، قال:

{ لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحِّ }

(صحيح البخاري)

(لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحِّ) المريض لا يأتي إلى الصحيح.
ولماذا يقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ فِيهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا }

(متفق عليه)

إذا هناك عدوى، لكن كلمته صلى الله عليه وسلم (لا عَدْوَى) أي لا تظن أن شيئاً يقع في الأرض إلا بأمره.
فأنت احترز واتخذ الأسباب لكن إعلم أن العدوى إن وقعت إنما تقع بتقدير الله، فلا يقع شيء في ملكه لا يريدته جل جلاله حاشاه.
هذا على الهامش، نعود إلى الكلمة الطيبة، قال: (لا عَدْوَى ولا طَيَّرَةَ) .
طيرة: تشاؤم.



تفاءلوا بالخير تجدوه

ثم قال: (وَبُعِثْنِي الْقَائِلُ الصَّالِحُ) ما هو الْقَائِلُ الصَّالِحُ؟ تفاءلوا بالخير تجدوه، الْقَائِلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، يعني أنت زرت مريضاً قل له: كلمة حسنة، كلمة طيبة، خفف عنه، ذكره بالله، ذكره بنعم الله، ذكره باسم الله الشافي، هذا قائل صالح، طالبٌ يدرس ويجهد ذكره بالنجاح، ذكره بما سيكون من شأنه عندما ينجح في هذا الامتحان، القائل أن تفاءل خيراً، طبعاً ليس التفاءل الساذج المبني على جهل، لكن التفاءل العلمي، يعني إذا كان يتخذ الأسباب ويدرس فتفاءل له بالخير.

الكلمة الطيبة صدقة

والكلمة الطيبة صدقة

{ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» }

(أخرجه البخاري)



الكلمة الطيبة مع من حولك

يعني أنت قد تتفق مالا، تدفع مالا، هذه صدقة واضحة، لكن أحيانا إنسان لا يملك المال، يملك لسانه، كلمة طيبة تقولها لإنسان، دخلت إلى محل تجاري؛ السلام عليكم كيف الحال؟ هذه كلمة طيبة، عندك عامل يعمل في معملك دخلت المعمل؛ السلام عليكم يا بني كيف حالك؟ هل يلزمك شيء؟ طمّني عنك وعن أهلِكَ، كلمة طيبة لكنها تملأ قلبه رضا وحيّا ويخدمك أكثر فأكثر، حارس البناء، الخادمة عندك في البيت أو الخادم، كلمة طيبة، كيف الحال؟ لعلكم بخير، نسال الله أن تكونوا بصحة جيدة، هل يلزمك شيء؟ هل تريد أن أعينك بشيء؟

النبي صلى الله عليه وسلم عندما يتحدث عن الخدم يقول: (وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)

{ عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَيْسُوهُمْ مِمَّا

تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ }

(أخرجه البخاري ومسلم)



الكلمة الطيبة صدقة

فالكلمة الطيبة صدقة، تتصدق بها على الناس بكلمة، أما أحيانا إنسان يعني يدخل ويخرج لا يلقى السلام، يعني كلمة السلام لا يلقها أو إذا سمع السلام لا يرده فهذه مشكلة، نتكلم الكلام الطيب فهو كصدقاتٍ ندفعها يكتب لنا به أجر الصدقة إن شاء الله.

الكلمة الطيبة نجاهٌ لصاحبها

أيضاً إخوانا الكرام: الكلمة الطيبة قد تكون نجاهً لصاحبها من النار، الآن اسمعوا إلى هذا الحديث الجميل:

{ عن أَبِي سَدَادٍ بِنِ أَوْسٍ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، خَاصِرُ بَصِطَةَ، قَالَ: إِذَا لَعِنَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: «هَلْ فِيكُمْ عَرِيبٌ؟» يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ، قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِعَلْقِ الْبَابِ، فَقَالَ: «ارْقِعُوا أَيْدِيَكُمْ فَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً، ثُمَّ وَصَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ» ثُمَّ قَالَ: «أَبَشِّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَرَ لَكُمْ» }

(رواه الحاكم وأحمد والطبراني)

وَعَنْ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: "مَجْلِسُ بُتَارِعٍ فِيهِ الْعِلْمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَدْرِهِ صَلَاةً، لَعَلَّ أَحَدَهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيَنْتَفِعُ بِهَا سَنَةً أَوْ مَا بَقِيَ مِنْ عُمرِهِ".
كلمة تقولها فيستمع بها إنسان فينتفع بها ما بقي من عمره تكون خيراً لك من الدنيا وما فيها.

الكلمة الطيبة بأقية

أيها الإخوة: والكلمة الطيبة تعرج إلى السماء وتبقى خالدةً حتى بعد أن يوارى صاحبها النرى.

{ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً فَلَمَّا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، قَالَ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انصرفتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ الْفَائِزُ الْكَلِمَةَ؟ قَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَقْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ اكْتَفَفُوها فَعَرَجُوا بِهَا حَتَّى تَغِيَّبَتْ عَنِّي }

(مجمع الزوائد)

نَقْرًا: مجموعة.

أما أصحاب الكلمة الطيبة فهم المقربون من الله تعالى، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - رجالٌ ليسوا بأَنْبياءَ ولا شُهَدَاءَ يَغْشَى بِيَاضَ وُجُوهِهِمْ نَظْرُ النَّاطِرِينَ يَغْطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقْعِدِهِمْ وَقَرِيهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ جَمَاعٌ مِنْ نَوَازِعِ الْقِبَالِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَيَنْتَقُونَ أَطْيَابَ الْكَلَامِ كَمَا يَنْتَقِي أَكْلُ التَّمْرِ أَطْيَابَهُ }

(أخرجه الطبراني)

فإذا كنت في مجلس مع إخوة كرام فانتق الكلمة الطيبة، الكلمة الطيبة تنتقى.

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

(سورة الإسراء: الآية 53)



حسن انتقاء الكلمات

يعني عندك ثلاث كلمات وكلها جيدة وحسنة فانتقِ الأحسن منها وقلها، أما السيئ فابتعد عنه، لا تقترب منه أبداً، انتقِ الكلمة الطيبة، طبق من التمر وهذا الطبق فيه تمرٌ حلو المذاق قد طاب أكله، وفيه تمرٌ أعرج ما يزال يحتاج إلى الاستواء، فانتقِ أطياب التمر، فانتقِ طيب الكلام كما ينتقي أكل التمر أطيابه. أكتفي بهذا القدر فالوقت يتداركنا في الحديث في العنصر الأول، العنصر الأول تحدثنا عن الكلمة الطيبة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة.

كيف تغير كلمة مجرى حياة إنسان؟

العنصر الثاني وسأقدم الثالث على الثاني، فسأتحدث عن كيف تغير كلمة مجرى حياة إنسان؟ سأحدث عن مثال واحد عن تغيير الكلمة لحياة إنسان، وهي قصة الفضيل بن عياض، قد سمعتم به.

قصة الفضيل بن عياض



صاحب البيت يقرأ القرآن

الفضيل بن عياض أحد الصالحين كان يسرق ويعطل القوافل في الليل، الفضيل كان سارق، يأخذ فأساً وسكيناً ويتعرض للقافلة فيعطلها، يوقف القافلة بفأسه وسكينه ويسرقها، وكان الناس يتواصلون في الطريق إياكم والفضيل، والمرأة تأتي بطفلها في الليل تنسكته وتقول له اسكته وإلا أعطيتك للفضيل، الله أكبر، يعرفه كل الناس، يعني أصبح اسمه علماً على الخوف والرعب في قلوب الناس، صعد يوماً سلماً على جدار، يريد أن يسرق صاحب البيت، فأطلّ ونظر إلي صاحب البيت فإذا هو شيخ كبير وعنده مصحف ففتحه واستقبل القبلة على سراج صغير عنده، ويقرأ في القرآن ويبكي، يقرأ من قلبه، جلس الفضيل ووضع يده على السقف وطلّ ينظر إلى ذلك الرجل العجوز الذي يقرأ القرآن ويبكي، فمر الشيخ بقوله سبحانه وتعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ

(سورة الحديد: الآية 16)

هذه كلمة خرجت من القلب، وأعظم الكلم الطيب كلام الله تعالى، فنظر الفضيل إلى السماء وقال: يارب إني أتوب إليك من هذه الليلة، إني أتوب إليك من هذه الليلة، ثم نزل فاعتسل وليس ثيابه وذهب إلى المسجد يبكي حتى الصباح فتاب الله عليه. وكان يطلق على الفضيل بن عياض إمام الحرمين في العبادة، الحرمان هما مكة والمدينة، وهو أصبح إمام الحرمين في العبادة ليس الإمام الذي يؤم الناس في الصلاة، وإنما يطلق عليه إمام الحرمين من باب أنه كان من أعبد الناس في مكة وفي المدينة.

أرأيتم كيف تغير كلمة مجرى حياة إنسان، كيف تنقله من ظلام إلى نور، من جهل إلى علم، من ضعف إلى قوة. أيها المقيم على ذنوبك ألم تأن لك أن تتوب إلى الله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَزَلْ مِنَ الْحَقِّ) قل: بلى يارب قد آن، قد آن لي أن أتوب، قد آن لي أن أعود إليك، قد آن لي أن أصطلح معك، قد آن لي أن أترك الذنوب خوفاً منك، قد آن لي أن أقف على بابك، قد آن لي أن أرجو ثوابك وأن أخدم عبادك، أن لي يارب.



كلمة واحدة قد تغير مجرى حياة إنسان

أيها الإخوة الكرام: كلمة واحدة تغير مجرى حياة إنسان عندما تخرج هذه الكلمة من قلب صادق فتدخل إلى قلب فتصادف فيه خيراً فتتمكن منه، هذا الرجل كان يجلس في بيته يقرأ القرآن لكن يبدو أنه كان خاشعاً في تلاوته ويبكي ويتبتل ويعبد الله في الليل فكان سبباً في توبة الفضيل، نحن اليوم لا نعرف هذا الرجل، نحن اليوم لا نعرف الفضيل الذي تاب، لكن هذا الرجل الذي كان يقرأ لا نعرف من هو، لكنه عند الله بمكان عال جداً الله أعلم به، وما ضره أننا لا نعرفه.

الكلمة الطيبة تبقى إلى يوم الساعة

جاء رسول أذربيجان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر وقد انقضت المعركة، قال عمر: من مات في المعركة؟ قال: يا أمير المؤمنين مات فلان وفلان وفلان، قال: وغيرهم؟ قال: مات خلق كثير لا تعرفهم يا عمر، فبكى عمر رضي الله عنه، ثم قال: وما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم. فأبها الإخوة الأحباب: الكلمة الطيبة قد تقولها أنت ولا تلقي لها بالاً لكنها تبقى ويبقى أثرها إلى قيام الساعة.



الطيب والخبيث أثرهما يبقى

اليوم افتح اليوتيوب على دروس العلم لشيخ من الشيوخ الربانيين الذين قضوا وذهبوا إلي ربهم، افتح على دروسه تجدها تملأ الآفاق والناس يستمعون لها وينتفعون بها وهو قد مات منذ مئة عام، وافتح في الوقت نفسه على اسم شخص كان يمثل وله مشاهد سيئة وله أفعال سيئة فتجد أن هذا الشر أيضاً ما يزال إلى اليوم في صحيفته، فالإنسان سيموت لكن الكلمة الطيبة يبقى أثرها الطيب والكلمة الخبيثة يبقى أثرها الخبيث إلى حين، لكنها بعد حين (اجْتَنَّتْ مِنْ قَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ).

إعراض الناس اليوم عن الكلمة



لماذا إعراض الناس عن الكلمة؟

أيها الإخوة: العنصر الثالث والأخير في لغاتنا: مع كل ما للكلمة من أثر، ومع كل ما لها من فضل، إلا أن الناس اليوم كثيراً منهم كفروا بالكلمة، يعني يسمع الكلام يقول لك: كلام لا تعبا به، كفروا بالكلمة، فما عادت الكلمة تفعل فعلها في نفوس كثير من الناس كما كانت من ذي قبل.

فلماذا إعراض الناس عن الكلمة؟ وكيف السبيل لتعيد إليها طهرها وواقعيتها وأثرها؟
لأننا إذا عرفنا سبب كفر الناس بالكلمة، أي إعراضهم عنها، علمنا كيف نعيد لها أثرها ووجودها في حياتنا ومجتمعنا، أقول وبالله المستعان، أول سبب لإعراض الناس عن الكلمة:

1. أنهم لم يجدوا مصداقاً لها في سلوك قائنها

النبى صلى الله عليه وسلم في ثلاثٍ وعشرين سنةً عَبرَ وجه العالم بالكلمة، كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر الناس بأمرٍ إلا كان أول المنفذين له ولا ينهاهم عن نهيٍ إلا كان أول المنتهين عنه، ولسان حاله كحال شعيب إذ يذكر الله على لسانه في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ

(سورة هود: الآية 88)

لا أنهأكم على شيء ثم أذهب وأفعله، فلما وجد الناس الكلمة في واد والمتكلم في واد أعرضوا عن الكلمة، وهذا لا يبرر إعراضهم، لكنه واقع، هذا الذي حصل.



القول لا يتطابق مع الفعل

بريكم أيها الإخوة؛ مَثَلٌ صَارَ: أب جلس مع أبناءه في أمسية، يحدثهم عن عمق محبته لهم وعظيم اهتمامه بهم، وتفضيله إياهم على نفسه، أحبكم يا أبناءي أكثر مما أحب نفسي، ثم نهض إلى السوق فأحضر طعاماً ودخل إلى البيت ورائحة الطعام تفوح وهم جياع دخل إلى غرفته وأغلق الباب على نفسه وأكل الطعام وحده، ما قيمة الكلام الذي قاله، وما قيمة المحاضرة التي ألقاها، هذا مَثَلٌ صَارَ، لكن الواقع قريبٌ منه أحياناً، حينما تسمع اليوم عن الديمقراطيات وحريات الشعوب وعن الرغبة في حماية الأطفال والمدنيين، وتسمع في الوقت نفسه أصوات القنابل تدمر البيوت فوق أصحابها، كيف تريد للناس أن يقتنعوا بالكلمة؟!

حينما تسمع حديثاً عن الورع والإستقامة من شخصٍ قد اغتصب أموال إخواته الضعيفات، كيف لك أن تقبل منه الحديث عن الورع والاستقامة، وهو من ثلاثين سنة يأكل أموال إخوته وميراثهم من أبيهم ولا يريد أن يعطيهم حصصهم.

حينما تسمع حديثاً عن حقوق المرأة وهم ينتهكون الأعراض، لا تملك إلا ابتساماً ساخرة.

إن حديث الخائن عن الأمانة حديثٌ مضحك، وحديث الكاذب عن الصدق حديثٌ مخز، وحديث المتفلت عن العفة حديثٌ يدعو للسخرية والاستهزاء، وحديث المتآمر على مصالح الأمة والوطن عن الوطنية حديثٌ مقرف، وحديث أكل المال الحرام عن الورع حديثٌ مفزق، ولن يقبل الناس منك كلمةً إلا إذا راوك أول مطبقٍ لها في واقعك، هذه الحقيقة الأولى، فالناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم.

النبى صلى الله عليه وسلم تصفه عائشة في الصحيح فتقول: (كان خُلُقُهُ القرآنُ)

{ دخلنا على عائشة فلقلنا: يا أمَّ المؤمنين ! ما كان خُلُقُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: كان خُلُقُهُ القرآنُ }

(صحيح البخاري)

كان قرآناً يمشي صلى الله عليه وسلم، فإذا أردنا أن نعيد للكلمة مصداقيتها فلا بد أولاً أن يرى الناس دعوةً بأفعالنا قبل أقوالنا، دعوةً بلسان الحال لا بلسان المقال، موقفٌ واحدٌ في الصدق أبلغ أثاراً من ألف محاضرةٍ في الصدق.

أيها الإخوة الكرام، أيها الدعاة، أيها الآباء، أيها الأمهات: أب يحدث ابنه عن الصدق ساعة، ثم يُطرق الباب، فيقول له: إن كان جارنا فلان على الباب فقل له أبي ليس هنا، ما قيمة محاضرتي في الصدق؟ صفر، الأولاد تعلموا من موقفه، لم يتعلموا من كلامه، أيضاً الداعية، الداعية إلى الله، بين يديك أمانة التبليغ فإياك أن تحدث الناس بشيء ثم يروك غير مطبقٍ له.

2. وسائل ما يسمى بالحضارة الحديثة



انتشار وسائل الحضارة الحديثة

أيها الإخوة الكرام: السبب الثاني لغياب دور الكلمة هو انتشار وسائل ما يسمى بالحضارة الحديثة التي ألهمت الناس عن الكلمة، يعني اليوم إذا جئت إلى بيت مساءً كل شخص يمسك هاتفه ويعتبه به ويمضي عليه وقتاً على متابعة بعض المقاطع الفيديو أو المقاطع الصوتية أو المراسلات مع أصحابه، فلا تجد مكاناً للكلمة الطيبة في الأسرة، فلا بد أيضاً إن أردنا أن نعيد للكلمة مصداقيتها ودورها أن نعيد وجودها في البيوت، أن نعيد وجودها في المجتمعات، في مجالس العلم.

3. الارتزاق بالكلمة الطيبة



الكلمة الطيبة لا تستغل للارتزاق

وأخر شيء مما أريد أن أقوله في هذا اللقاء الطيب، السبب الثالث لغياب دور الكلمة: أن بعض الناس استخدموها للارتزاق بها، والكلمة الطيبة حين تخرج لمصلحة تخرج من الفم فتدخل إلى الأذن ولا تخترق القلوب لأنها لم تخرج من القلوب. يقول الإمام الغزالي وتنسب للشافعي: "لأن ارتزاق بالرقص أحب إلي من أن ارتزق بالدين". الدين لا يستغل، الدين لا يرتزق به، الكلمة الطيبة لا تستغل للارتزاق، دع الكلمة الطيبة في علياتها، إن أردت أن يكون لك مال فهناك جرفٌ احترفها، لا تحترف الكلمة الطيبة لتبتز الناس وتأخذ أموالهم، حتى لا تسقطها فيكون إثمك مضاعفاً عند الله تعالى. يُروى عن بعض السلف في قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا

(سورة البقرة: الآية 31)

قال: "علمه أسامي ألف حرفٍ وحرفة، ثم قال: إن لم تصبروا على الدنيا فارتزقوا بهذه الحرف، وإياكم أن ترتزقوا بالدين". لا ترتزق بالدين، لأن الإنسان عندما يرتزق بالكلمة الطيبة يبعد الناس عن دين الله. قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَثِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

(سورة الصف: الآية 3)

نعيد للكلمة طهرها وواقعيتها وواقعها في حياة الناس:

- أولاً: بأن يجد الناس مصداقاً في سلوك قائلها.

- وثانياً: بأن ندع لها مجالاً اليوم بين وسائل التقنية الحديثة.

- وثالثاً: بأن نقولها بإخلاص لا يتعني بها إلا وجه الله تعالى حتى تدخل إلى القلوب وتجد مكاناً فيها.

أسأل الله تعالى أن يرفع الوباء، وأن يجيرنا من سيء الأسقام، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، اللهم ارفع عنا مقنك وعضيك، ولا تعاملنا بما فعل السفهاء منا، اللهم يارب بلغنا رمضان في عافية منك وسترٍ ورحمة، واجعلنا من صُوَّام نهاره، وأن تقوم إن شاء الله تعالى ليليه في مساجدك وفي بيوتك نعمة بالذكر والخير.

إلى الملتقى أستودعكم الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بورد الدين الاسلامي